سعاد بلوني

أرواح ليلية

أرواح ليلية

إصدارات دار إي-كتب

لندن 2020

Night Spirits
BY: Souad Bellouni
All Rights Reserved to the author ©
Published by e-Kutub Ltd
Distribution: TheBookExhibition.com & Associates
All yields of sales are reserved to the author
ISBN: 9781780585635
First Edition
London, 2020
** * **

الطبعة الأولى،
لندن، 2020
أرواح ليلية (رواية)
المؤلف: **سعاد بلون**
الناشر: e-Kutub Ltd، شركة بريطانية مسجلة في انجلترا برقم:
7513024
© جميع الحقوق محفوظة للمؤلف
التوزيع: TheBookExhibition.com
كل عائدات البيع محفوظة للمؤلف
لا تجوز إعادة طباعة أي جزء من هذا الكتاب إلكترونيا أو على ورق. كما لا يجوز الاقتباس من دون الإشارة الى المصدر.
أي محاولة للنسخ أو إعادة النشر تعرض صاحبها الى المسؤولية القانونية.
إذا عثرت على نسخة عبر أي وسيلة اخرى غير موقع الناشر (**إي- كتب**) أو غوغل بوكس أو أمازون، نرجو إشعارنا بوجود نسخة غير مشروعة، وذلك بالكتابة إلينا:
ekutub.info@gmail.com

أرواح ليلية لا تعيش إلا على الظلام وفي الظلام لأنها لا تستسيغ النور ولا تعبأ به فهو يجعلها ترى عمق اخطائها.

أرواح ليلية لا تستمتع إلا بمعاناة الاخرين ولا تتلذذ إلا به

أرواح ليلية اوقفت نهر الخير المتدفق بين الناس لترى ظمأ الناس وحاجتهم الى الفرح.

يا روح أن العمر يمضي والحياة تفنى فلا تهتم بالأرواح الليلية وتبني الخير وعلى فعله استمري دون توقف.

أيتها الروح كون معي على فعل الخير لا ضدي.

أيتها الروح لن نظل على الارض مدى الدهر فلنمشي في طريق النور.

أيتها الحياة لا تعبثي بالروح فهي متعبة مشتاقة لنيل المراد
يا حياة لا تشتدي علي فالعمر يمضي ومعه الامل
أيتها الحياة سيري دون السير علي
لقد جعلتني أحزن وابكي فرفقا بي
على يديك تعلمت قدر الالم وعمقه فرفقا بي
رفقا بي وبقلبي أيتها الحياة

مجرد صحفية هذا ما أنا عليه.

مجرد صحفية هذا ما وصلت اليه وهذا كل ما حققته من الامور الكثيرة التي تمنيتها لنفسي وأردت بلوغها.

فالحياة لم تيسر علي طرق نيل ما اردته او ربما لم اعمل بجهد او لم تكن لدي الكفاءات المستوجبة للحصول على مرادي.

قبل أن اغدو مجرد صحفية كنت مجرد انثى.

مجرد انثى تعبث بها الحياة وتتلاعب بها كما تتلاعب الرياح بأوراق الخريف المتساقطة.

اجل كنت مجرد انثى تسيرني غريزتي ومخاوفي من أن لا اتزوج وأن تتزوج كل قريناتي سواي فابلغ الثلاثينات او... الخ دون زواج فاغدو الوحيدة دون زواج فيشار الي على اساس أنني مسكينة لأني لم اتزوج.

كنت مرعبة من الامر اشد ارتعاب.

كنت خائفة جدا من الامر.

سيطر علي الخوف من مسالة الزواج فغدوت مجرد انثى خائفة هائمة دون عقل دون هدف.

تحولت الى عبدة لخوفي.

ايقظت في نفسي حاسة الصيد التي امتلكها الانسان قبل التاريخ تلك الحاسة التي كانت وليدة الجوع تلك الحاسة التي جعلته يلاحق الحيوان في الغاب كعبد لجوعه لملئ بطنه.

اردت أن اصطاد رجلا بأي ثمن.

لم يهمني نوعية الصيد فكل اهتمامي كان على الصيد نفسه.

مع أن الصيد انواع.

فهناك من يصطاد الاسد او النسر وهناك من قد يصطاد الخنفساء او الحرباء.

لقد اخطأت في حق نفسي كثيرا ولا الوم في الامر إلا المجتمع الذي أفشي افكارا تافهة والقابا اتفه ما تكون عن الغير متزوجين.

وربما ليس للمجتمع علاقة بالأمر بل الخطء خطئي لأني اصغيت لما هو متداول في المجتمع كان علي أن اهتم بنفسي او بما يريحني ولا اصغي إلا لفكري انا.

ومتى انصلح المجتمع هذه هي العادة فيه.

فلو كانت المجتمعات صالحة لم أرسل الله الرسل.

قلة وعيي او ربما خوفي من المجهول سيطرا علي

تحولت الى صيادة ووقع اختياري على أقرب فريسة لي ابن الجيران.

ابن الجيران الذي بلغ من العمر ما بلغته.

ابن الجيران الذي أكرهه ولن اتوقف عن كرهه.

كرهي له قد يكون بسبب معين او لأسباب وهمية لا اعلمها أنا نفسي لهذا لن أعلق على شيء لا أدرك منه شيئا.

كان ذميم الخلقة قصير القامة اسمر البشرة وبسيطا أكثر من اللزوم وكما قال من سبقنا من البشر إذا زاد الامر عن حده انقلب ضده بساطته توحي بقلة وعيه وبمحدودية ذكائه.

بالنسبة لوضعه الاجتماعي كان دون شهادة ودون عمل ودون مال ودون مظهر جميل.

اه نسيت أن اذكر اسمه.

اسمه هو اغيلاس.

لن اكذب واقول أحبه لأنه لم يكن هناك أي حب له في قلبي بل كنت أكرهه فرؤيته تذكرني بخوفي من العزوبية وظلمي لنفسي.

رؤيته تقززني من نفسي.

رؤيته كانت تذكرني بانني قبلت به وخطبت له لأري صديقاتي الخاتم على يدي لا أكثر ولا اقل.

اه على المرأة حين تقرر أن تتخلى عن نفسها من أجل الحصول على زوج.

اه على المرأة حين تقبل بأي رجل كان من أجل ارضاء المجتمع لا من أجل ارضاء نفسها واسعاد قلبها.

كنت أتألم بشدة حين اراه واقول في نفسي أيعقل أن الله كتب لي هذا الشخص زوجا لي على لوحه؟ واذا بصوت خفي دوما يجاوبني في نفسي ويقول الله لا يحمل نفسا إلا وسعها ولا يمكن أن يكون هذا الشخص هو الزوج المقدر لي.

اصبت بإحباط بسببه.

اصبت بخيبة امل بسببه.

اصبت باكتئاب بسببه.

تمنيت لو لم أغدُ امرأة وضللت طفلة لا تهتم لشيء لا تهتم للمجتمع ولا لمشكل الزواج.

كان حين يأتي لمنزلنا اصاب بخيبة امل من الدنيا بأكملها فقد كان يتحدث بعشوائية دون معرفة مسبقة بالشيء.

لست ممن يرى نفسه في القمة والغير في الاسفل لكن تصرفاته كانت تجعلني اتمنى أن اكون في الاعلى وهو في الاسفل حتى لا اراه.

لست ممن يحتقر الغير لكنني احتقرت تصرفاته طريقة كلامه السوقية الخالية من روح الجدية والثقافة الوجدانية التي يكتسبها المرؤ من الوجود لا من المدارس او العلم والتعلم.

اتذكر انه زارنا في أحد الايام فقال له اخي اختي عن قريب ستتخرج وتصبح صحفية واتمنى أن تجد عملا وتنجح في حياتها المهنية الامر مهم لها ولنا حقا أحبها أن تنجح وتصل الى اعلى المراتب لتثبت ذاتها في المجتمع.

اجاب هو أن قال لكنها امرأة.

لم يفهم اخي قصده كون اخي جراح معروف بأخلاقه العالية وذكائه الحاد فقد كان لا ينظر إلا جنس الشخص بقدر ما كان ينظر الى كفاءته ما كان لأخي أن يفهم شخصا مثله لأنه لم يكن يفكر مثله لم يكن يهتم لنفس الامور التي يهتم بها.

قال له اخي باستغراب عفوا ولكني لم افهم قصدك.

اجاب وقال مهما اصبحت ستظل امرأة.

اجاب اخي بغضب: وهل قلت لك انها ستغدو رجلا لقد قلت انه عليها أن تعمل لتنجح فتثبت ذاتها واذا انت تجيبني بهذه الطريقة الفظة... من النساء من هن بمائة رجل ولكنهن للاسف رضين بأشباه الرجال... أن تخلق ذكرا او انثى ليس بالمعيب بل هي سنة الحياة أن تخلق رجلا او امرأة ولا عيب في ذلك ولا ميزة بل المرء يميز بذكائه

وعمله... لا يرفع الانسان بجنسه بل بذكائه ووعيه وطريقة نظرته للأمور.

يقوم اخي ويخرج من الصالون وهو غضبان اسف على حالي.

الحق به واقف خلفه على بعد متر منه وهو يدخن في ساحة المنزل.

يحس بوجودي ودون أن يستدير يقول لي: تأكدي أن الزواج من أجل الزواج ليس هو الحل.

تأكدي أن ارضاء الناس غاية لا تدرك انت ستتزوجين به من أجل الناس لا من أجل نفسك ماذا عن نفسك اليس لها حق عليك.

اهذا هو الشخص الانسب لك لا اظن.

هل ستكملين حياتك كلها معه... هذا حقا ظلم في حق نفسك.

لو كنت امرأة اقسم أني ما قبلت برجل مثله ولو ظللت الدهر بأكمله دون زواج.

هناك زواج يرفع المرأة.

ولكن من الزواج ما يكسر ظهر المرأة.

ان الزواج مع هذا الشخص سيكسر حياتك بأكملها لا ظهرك فقط.

فكري جيدا بالأمر قبل أن تقدمي على امر ستندمين الدهر بأكمله عليه.

يومها اشفقت على اخي كونه اخ لامرأة غبية مثلي.

بل اشفقت على نفسي من فكري الغبي.

لم افسخ الخطوبة مع أني تمنيت الامر.

فقد أرهقني اغيلاس كثيرا بفكره او ربما بقلة تفكيره.

ذات يوم اتصل بي ولم اجبه.

وكرر الاتصال ولم اجبه مع أني كنت اعرف انه كان في المستشفى لإجراء عملية استئصال ورم على مستوى بطنه لكني آنذاك كنت مشغولة جدا بامتحانات نهاية السنة وقلت في نفسي ما أن انهي حتى اذهب اليه لأسانده واعكف عنده حتى يشفى.

لكنه أرسل رسالة هاتفية جعلتني لا اذهب اليه ولا اهتم بأمره.

مضمون الرسالة انت لا تجيبين على اتصالاتي لأني مصاب بالسرطان ولكن الله كبير.

من شدة غضبي اخذت الهاتف على كثرة انشغالي وكتبت أنا لم أفكر بالأمر بهذه الطريقة ولم يكن لي أن أفكر بهذه الطريقة ولم أكن اتصور أن من الناس من يمكن أن يفكر بهذه الطريقة لقد اخبرتك أني مشغولة ولا يمكن لي أن اجيب على اتصالاتك في كل ثانية وفي ساعات الليل المتأخرة تعلم أن لي امتحانات ولا يمكن لي أن اتخلى عن كل شيء هو اسبوع وسأكون معك وعلى كل موعد العملية مقرر بعد شهر من الان وسأكون معك فلم لا تكون معي وتفهم امري الى حين انتهاء امتحاناتي.

لم كل هذه الانانية وهذا الكره كله.

الله كبير اتريد أن أمرض أنا ايضا وهل سيخفف مرضي من مرضك؟

ماذا ستجني من مرضي؟

هل ستسعد أن أنا اصبت بمرضك؟

يال نفسك المعلولة بالكره والحقد.

اجل الله كبير ليشفيك ويشفي جميع الناس.

الله كبير ليكون معك ومعي ومع الناس جميعا.

لكنك من النوع الذي لا يستعمل اسم الله الكبير إلا لينتقم من الناس ليطلب من الله مددا لأهلاك غيرك من الناس.

يالك من شخص بائس لعين.

يا لك من شخص مليء بالحقد.

نفسك المعلولة بالحقد تجعلك لا ترى إلا الحقد والسواد في الدنيا.

صدقت جدتي حين قالت لي رحمة الله عليها: أن ما نراه من الناس من قول او فعل هو ما يسكن ارواحهم فان رايتي من يمدح الناس تأكدي أن روحه لا ترى إلا الحسن وتعجز عن رؤية القبح وان كان موجودا بارزا لأنها جميلة طاهرة وان رايتي من يذم على الدوام الناس تأكدي أن روحه تعيسة لئيمة لا ترى إلا الدنيء كحالها.

جدتي كانت تكره من لا يجيد الكلام وتصنفه في خانة فارغة لا تنتمي الى اي شيء.

حتى انه وصل بها الحد أن تعتزل الكثير من الناس وتنشد السكينة وراحة البال في الوحدة والتوحد. كنت أحبها كثيرا واتباهى بها لما لها علي من فضل في الحصول على الفكر السليم والتأمل الوجداني الذي لم استعمل منه شيئا في اختيار الزوج المستقبلي في تلك المرحلة من حياتي.

مضت الايام ومضت الاعوام مسرعة بحلوها ومرها.

تخرجت من الجامعة وذهب اغيلاس من بعد شفائه الكلي الى الخارج للعمل هناك عند أحد اقاربه الذين يملكون مطعما في فرنسا لا

ادري اين بالتحديد ولم يكن الامر يهمني لأسال عن المنطقة التي يوجد فيها ذلك المطعم الذي سيعمل فيه بل كنت سعيدة لأنه سيرحل ولن يريني وجهه لشهور.

لقد كان وجوده يحرجني حقا.

اما طريقة حديثه حدث ولا حرج.

بعد عام واحد من رحيله اتت امه تعتذر مني لأنه لن يقدر لي الزواج به لارتباطه بعجوز في فرنسا تظاهرت بالحزن امامها ولكني انفجرت بالضحك من بعد ذلك.

وما يهمني في شخص مثله عديم الحياء والاخلاق.

وهل كنت لأرثي فراقنا الذي تاقت اليه نفسي.

وهل كنت لأبكي رجلا تزوج بامرأة تكبر امه من أجل متاع الدنيا واي متاع هذا. احسب أن زوجته هذه شاركت حتى في الحرب العالمية الاولى والثانية كانت لتنفعه حقا لو كان مؤرخا فتسرد عليه الاحداث فيكتبها ويجعل منها كتابا يسميه النذالة أرخص من أن تباع او تشترى.

يا ترى ما هو احساس امه بزواجه بعجوز.

الزواج بعجوز انهكتها الحياة من بعد أن منحت ربيعها لغيره الذين احسبهم كثرا.

اليوم ستهديه خريفها وتساقط اوراقها اتمنى أن يقدر على الصمود امام كثرة الاوراق المتساقطة منها والاوجاع.

يخيل لي انه شبح واقف امام شجرة شاخت تحتاج منه يده ليضعها عليها فتخفف القليل من الارهاق الذي اصابها من الدهر والجهر الى

حين سقوطها فيجمع جذورها بعد سقوطها ويمنحها للبنك عساه يحصل على شيء من المال ليشتري القليل من الدم والشرف الذين قد يحولانه من شبح لا يرى إلا الانسان الذي كان عليه قبل أن يقدم على الزواج من أجل ورقة من أجل الجنسية.

وأظن أن الشرف حين يغدو لا يعود.

ان الشرف كالنجم إذا انفجر تلاشى.

فلا تحسب انه ثوب فتبيعه بالقليل.

هو كتاج من زجاج فوق الراس.

اذا سقط انكسر.

فتمسك به حتى لا يضيع.

الرجال مثل النساء حين يقررون بيع أنفسهم لسبب معين او لهدف ما يصبحون مساكين تافهين تائهين.

لن الوم غيري وانا التي اذنبت مثل غيري حين رخصت من نفسي من أجل أن لا يقال على نفسي عانس فاتها القطار. فقررت الزواج عل عجل بأي ثمن وبأي كان مهما كان كما يقال الغاية تبرر الوسيلة.

أعجب حين يقال هناك حب.

ومتى كان هناك حب.

في زمن يخاف فيه من الشيخوخة وفوات الاوان والقطار.

وهل للحب العيش في زمن الحسابات والمساومات.

مساومات من أجل الجنسية والاموال والمقامات

أيعقل أن يسكن الحب جارا للخوف في قلب واحد.

الحب وهم إذا عشش الخوف في القلوب.

فلا خوف من زواج الغير قبلك.

اهتمي بنفسك واحبيها أكثر من الغير.

لا تهتم بقول الغير فلا أحد سيرفعك.

ولا أحد سينقص من مقامك.

فالله مقدر الارزاق.

كوني انانية وأحبي الانا وارفعيها ترفعك.

ابتسم من نفسي لاستعادتها كل هذا الماضي المتعلق باغيلاس والذي مضى عليه عشرة اعوام وانهرها واصفي ذهني من افكاره واقترب من المحكمة صفق صحفي ولهذا أنا هنا.

امرأة تقتل زوجها.

قد كتب العديد من الصحفيين عن الموضوع ومن بينهم أنا لكني لم اقابل بعد القاتلة لقد نقلت ما قيل لي على لسان ام الضحية المغدور به.

اه لقد كان الرجل في مقتبل العمر في الاربعين من عمره كيف امكنها قتل زوجها في اليوم الاول من الزواج لو تركته على الاقل ليحي اسبوعا بعد الزواج وقتلته الم تصبر عليه حتى ليوم واحد بصنيعها هذا جعلت من نفسها مجرمة مشهورة عالمية.

على كل مع أني قسوت عليها في مقالي الذي كتبته عليها إلا أني لا استبعد أن لرجل يدا في مقتله حتما قد صنع ما يستحق عليه القتل اه لم اعد أدرى الكثير فعملي كصحفية جعلني ارى العجب العجاب فلا اتحسر على أحد وولا الوم احدا ولا امنح نفسي الحق لأحكم على أحد لان الكل يحاول اثبات براءة ذمته بإيجاد اعذار واهية كاذبة لا يقبلها

العقل الناضج وكوني صحفية ما علي إلا التظاهر بتصديقهم لنشر غسيلهم وفضحهم اكثر.

أي زمن هذا الذي وصلنا اليه ونعيش فيه والى اين نحن نغدو، امرأة تقتل زوجها، زوج يذبح زوجته، ابن يتخلى على امه، ام تتخلص من طفلها، كلها جرائم اسبابها مختلفة ولكن النتيجة واحدة فالجريمة جريمة ولا تحتمل إلا تعريفا واحدا مخيفا.

اخر جريمة كتبت عنها كانت لرجل قتل صديقه ليلا وبعد قتله ربط الى رجله صخرة كبيرة ورماه الى النهر مضى عام ولم يظهر للرجل المقتول أثر.

خافت الام الثكلى عل ابنها فأسرعت الى الشرطة تشكو همها لغياب وحيدها ومصابها لفراق فلذة الكبد.

سمعت بالخبر فاستعجلت اخطو نفس خطوات الشرطة وابحث متخفية عن الحقيقة غير ابهة بمصاب الام ولا بحيرتها همي الوحيد الحصول عل صفق صحفي.

مضت الايام وانا اسال صحبه عن خبر اليقين إلا أن دلني أحد منهم على اخر شخص رآه قبل اختفائه.

كان للقاتل الذي كان اخر من رأى صديقه عادة سيئة فاذا حل الليل تخفى في قبعة ونظرات سود وقصد النهر لمحادثة الميت ترصدته وسجلت له حوارا له مع الجثة حيث يقول: قلت لك اعد لي مالي الذي استدنته مني منذ اعوام فأبيت.

ترجيتك فعاندت.

الحت عليك فتمردت.

قلت لك لي فيه حاجة قصوى فسخرت.

ابكتني الحاجة فضحكت.

قتلتك بعدما لم يعد لي مخرج معك.

بل قتلتك بعد أن وسوس لي الشيطان وجعل في نفسي عليك حقدا هياجا.

سولت لي نفسي قتلك وجملته وانا بصنيعي اسف ندمان اتمنى الموت وارجوه لنفسي كلما مررت حيث رميتك.

أمك تهجوك شوقا وانا اهجوك لوعة وندما.

سامحني يا صديقي.

كتبت عليه مقالا جعل مني مشهورة أكثر من ما أنا مشهورة وجعل منه سجينا ولا اسف على الامر هذا هو عملي ودوري كصحفية.

انا لا اهجو احدا ولا الوم احدا.

انا لا أظلم احدا ولا افتري على أحد.

ولكني اكتب على كل أحد يأتي بفعل قبيح او مخالف للمعتاد.

كيف ذبحت هذه المجنونة زوجها ليلة الزفاف اهي غبية او معتوهة؟

ههههه كتب عليها مديري مقالا طلب مني تصحيحه له كتب فيه على ما اعتقد حتى الشعر مضمون المقال.

(نحن في زمن الاخطاء الكبرى.

نحن في زمن لا نحتمل فيه احدا ولا نحب احدا لا أحد منا يحتمل الاخر والعيش مع بعضنا البعض من المستحيل والمحرمات وكأننا اسود

خلقت للعيش بمفردها فتفشل بيسر من العيش مع غيرها لأنها خلقت وبرمجت جينيا لتلتهم غيرها.

نحن لم نعد نستطيع العيش مع غيرنا كما كان السلف يفعلون حيث يمكن أن نجد الام وابناءها المتزوجون يشتركون العيش في بيت واحد ملؤه السعادة نحن في زمن يرفض الابن والكنة العيش مع الام فتلقى الى دار العجزة لأننا في زمن لا يحتمل أحد الاخر.

لا أحد يحتمل الاخر.

لا أحد يطيق الاخر.

لا أحد يتنازل عن حقه.

لا أحد يتغاض الطرف عن الاخر او عن اخطائه.

نحن في زمن الاخطاء الكبرى ولا أستطيع إلا أن اقول لنا الله.

الامرأة ز.ق قامت في اليوم الاول من زواجها وقبل أن تنتزع ثوب العفة الابيض بقتل زوجها أمر هز سكان مدينة س.ن حيث أسرع الكل الى غرفة الضحية بعد سماع صراخ الام المفجوعة بابنها ليجدوه غارقا في دمه جثة هامدة.

حاولت العروس الهروب ولكن أحد السكان امسك بها واتصل بالشرطة التي اتت لتحقق في الامر.

القاتلة اليوم في السجن امر تستحقه.

القاتلة امرأة حرمت من الرحمة والطيبة وفعلها يؤكد هذا ولا أحد يتعجب من تواجدها في السجن فهي من سعت الى هذا بفعلها الدنيء.

ولكن العجيب في الامر أن محامي دفاعها هو عماد سلطاني أكبر محام معروف بالنزاهة ودفاعه عن حقوق المظلومين.

محامي دفاعها هو عماد سلطاني العضو الاول في هيئة حقوق الانسان على مستوى الوطن.

وهل أصبح من حقوق الانسان قتل الانسان؟

اليوم من خلال المقال اتساءل كيف لمحام مثله أن يقبل قضية مثل هذه القاتل فيها اعترف بجريمته علنا حيث قال أنا من طعنته بمقص.

لم يخسر عماد سلطاني اي قضية حملها على عاتقه.

هل ستكون هذه القضية بداية خسرانه؟

ام أن المرأة مجنونة سيحاول تبرئتها من الجريمة على اساس انها لا تعي شيئا من فعلها وهنا سيقع الخطء على اهلها الذين زوجوها وهي لا تعي من الدنيا شيئا.

جريمة سريعة وقعت في ثوان محاكمتها بعد ايام وسنوافيكم بمقال اخر عن المحاكمة والحكم الذي سينطق به).

النذالة أرخص من أن تباع او تشترى فكيف لمرآة أن تلطخ ثوب زفافها بدماء من البسها الثوب.

النذالة أرخص من أن تباع او تشترى كان عنوان مقال لي حول جريمة قتل من نوع خاص وقعت منذ عامين من الان أي في سنة 2001

لا اعرف لم تخصصت في هذا النوع من المقالات فانا دوما من تحدث وكتب مقالات عن الجرائم في جريدتنا الحرة والمدير دوما شجعني على ذلك.

مضمون المقال وفق ما اتذكره:

(لا اعرف كيف يسمي غيري هذا النوع من الصنيع، ولكني أحب أن اسميه كيف تشير علي نفسي.

النذالة أرخص من أن تباع او تشترى.

امرأة تقوم بحبس ابن زوجها (ربيبها) الذي لم يتعدَ خمسة اعوام لاستقبال اهلها بعيدا عن ما تسميه ازعاجا.

طلبت منه الوقوف في الشرفة وعدم اصدار أي صوت الى حين ذهاب ضيوفها.

انستها نذالتها الطفل حتى من بعد ذهاب اهلها.

حل الليل ولم تدخل الطفل.

دخل الزوج وسال عن ابنه وقالت له هو نائم تحت الغطاء يتنعم بالدفء بعد أن تلذذ بأزكى الاطباق التي اعددتها بحب وتعب خصيصا له.

قرت عين الرجل اكل ودخل الفراش دون أن يتأكد من صدق قولها.

وإذا في المنام تزوره زوجته الميتة ام الطفل وتقول له: ابني امانة في رقبتك فاعتني به.

اشتكى الطفل لربه.

اشتكى الطفل الصغير المتجمد من البرد في الشرفة لامه ظلم البشر له فلم يهن عليها شكواه حتى وهي ميتة.

فأسرعت وهي روح تلهث من أجل طفلها العون فحلت ضيفة على رؤي الرجل الذي كان يوما زوجها ولكنه لم يستيقظ بل فتح عينيه واستغفر الله ونام مرة اخرى.

استلقى الطفل على ارضية الشرفة وانكمش على نفسه من البرد وهو واضع يده تحت رأسه الصغيرة يئن من البرد ويتلوى من الجوع والالم.

كان أصغر من أن يفهم ما يحدث له كانت اطرافه تتجمد وبطنه ترتجف.

وعيونه بالدمع تجود لرب عظيم لا يخفى عنه شيء ولا يهمل شيئا.

كان أصغر من أن يدعو ربه لينجده ولكنه كان يحدق الى السماء بحزن وهل يخفى على الله الم طفل صغير مثله.

ان الله أقرب الينا من حبل الوريد.

وإذا بالرجل في المنام تزوره مرة اخرى زوجته وتقول له ابني بارد يتألم وجائع يتأوه اعتني به ارجوك.

لكنه لا يقوم بل يسال زوجته عن ابنه فتجيبه: هو نائم ارح بالك.

ينام مرة اخرى وإذا بالزوجة الميتة تزوره مرة اخرى عند الفجر وتقول له: قلت لك هو امانة وقلت لك هو بارد ولم تقم الان اقول لك هو عندي حيث لن يهينه أحد ولن يذيقه أحد ما ذاقه اليوم هو عندي لأني توسلت الله أن يرحمه منكم فأتاني به.

أسرع الرجل بالنهوض بعد هذه الرؤية للبحث عن الطفل فلم يجده في البيت فأيقظ الوحش القاتل وسأله عن مكان وجود الطفل فقال له في الشرفة انسانيه الله تذكره.

لم ينسيها الله تذكره بل شيطانها ونفسها من فعلا.

أسرع الوالد بفتح باب الشرفة الذي اغلقته بالمفتاح لكي لا ينجو الصغير من الموت والعذاب المقرر عليه فوجد جسده منكمشا على نفسه متوسدا يده الصغيرة وهو مزرق من البرد.

مات الطفل من البرد القارص.

او ربما وحشية الانسان من قتل الطفل.

لماذا نحن هكذا؟

لماذا نحن قساة لا نرحم ونطلب الرحمة؟

ما حدث لطفل ابكاني وانا اكتب الكلمات واقول في نفسي اجعل الرحمة في قلوبنا يا ارحم الراحمين

انتهت قصة الطفل اليتيم لتبدأ قصة المحكمة للبحث عن القاتل الحقيقي النذالة أم الاهمال أم الوحشية وعدم الاتسام بالرحمة والخوف من الله).

لقد كتبت الكثير من المقالات عن الجرائم المتعددة التي تقع دون سبق اصرار ولكن جريمة هذه الغبية التي قتلت زوجها لا اعرف في أي خانة اضعها يا إلهي اتقتل زوجها في الليلة الاولى من الزواج اهي عنكبوت ام ماذا سمعت أن العنكبوت تفعل هذا مع الذكر ومن ثم تلتهمه.

اقترب من المحكمة أكثر وادخل.

الكثير من الناس هنا لحضور محاكمة هذه التي قتلت زوجها لقد جعلت وسائل الاعلام من القضية خبر الساعة خبر الاسبوع لقد انشهرت المرأة باسوأ الطرق.

هي كبعض الشباب من هذا الجيل الذين يقومون بتصوير أنفسهم وأكلهم وتصرفاتهم ويفضحون أنفسهم على وساءل الاتصال من أجل شهرة لا مفاد منها. فضحت نفسها بقتل زوجها ولا مفر من الشهرة البائسة اليتيمة.

ارى المحامي عماد سلطاني وأسرع خلفه.

ـ سيد سلطاني هل لي بطرح بعض الاسئلة عليك أنا صحفية من جريدة خبر الساعة.

يقف ويستدير نحوي ويقابلني.

لم اتصور بأنه بهذا الحسن؟

لقد رايته دوما على التلفاز هي اول مرة اراه امامي.

طويل اسمر بعيون خضراء وشعر اسود حريري وملامح رجولية طاغية.

ـ حسنا

ـ اريد أن اسالك عن ما جعلك تقبل هذه القضية فالكل واقف حائر امام مساندتك للمجرمة؟

ارى الغضب على وجهه من بعد أن قلت كلمة المجرمة.

ـ انت حكمتي عليها بالإجرام قبل صدور الحكم وهل كل قاتل مجرم؟ هناك من قتل وهو الضحية وهناك من قتل وهو المظلوم على كل لا مفاد من الحديث مع صحفي يطلق الاحكام قبل البحث والتحقق من ماهيتها.

يستدير ويرحل دون أن يزيد كلمة.

الحق به.

ـ ارجوك سيدي اريد أن اطرح عليك سؤالا اخر..

ودون أن يستدير الي وهو يمشي دوما

ـ لا

لا اسعى الى اقناعه باذلا ل نفسي امامه بالإلحاح.

تعبت من الالحاح.

تعبت من اذلال نفسي امام من يثمن وامام من لا يثمن بأي قطعة نقدية.

اصمت وأسير خلفه في اتجاه قاعة المحاكمة.

ادخل خلفه الى قاعة المحاكمة واجلس في الخلف لكي ارى الكل ولا يراني الكل.

تتسارع دقات قلبي بعد الجلوس حتى أحس بصدري مثقلا من المد والجزر وابدأ في السعال دون توقف حتى يراودني احساس بالاختناق اسمع أحد الجالسين بقربي يقول: هل انت بخير انستي؟

ـ أجل أنا بخير.

اسقي نفسي ماءا من القارورة التي احملها معي في الحقيبة واتنفس بعمق.

أكره هذا المكان ولا أحب المكوث فيه لكن الضرورة تبيح المحذور.

منذ عام وقفت هنا لمساندة صديقتي لدفاع عن حقوق اختها.

هنا ماتت صديقتي بجلطة دماغية.

لقد تلفظت انفاسها الاخيرة في هذه القاعة وهي تقول حسبي الله ونعم الوكيل.

جنار كانت أقرب الناس الى قلبي وموتها أثر في نفسيتي للغاية.

اتذكر أني طلبت منها أن لا تترافع عن اختها لأنها لن تتحمل ولن تصمد ولكن غضبها ورغبتها في الانتقام كانا اقوى من كل شيء.

انتحرت اخت جنار مباشرة بعد الزواج من بعد أن فهمت أن اهل زوجها خدعوها وان زوجها مصاب بمرض عقلي لم تتحمل الامر ووضعت حدا لحياتها.

لقد كانت اخت جنار تحلم بالزواج كثيرا وكان هدفها في الحياة وتحقق هذا الهدف حين اتت أحد العائلات الغريبة عنهم تطلب يدها لزواج بابنهم الساكن في المانيا.

اوهمتهم عائلة هذا الشاب أن ابنهم لن يقدر على الحضور وهو مستعجل على الزواج وانه ولن يتمكن من رؤية العروس إلا يوم الزفاف لكثرة اعماله.

صدق الكل الكذبة واعتقدت الفتاة انها رزقت بمن يعوض عليها سنين الانتظار.

بعد زفاف دام لأسبوع فهت المسكينة المكتوم والمستور فأسرعت الى اهلها حافية تصرخ دون وعي منها وهي تقول الرجل الذي زوجوني به مجنون كليا.

ولم يكن في المانيا لم يكن في أي مكان غير المنزل.

لقد انتهت حياتي لم يعد لي أي امل فأي امل لامرأة في الخمسين من العمر تتزوج بعد أن لم يعد امل في زواجها وإذا هي تذبح بزوج لا اهلية له بالزواج.

رمت اخت جنار نفسها من الطابق الرابع وماتت.

اتهمت جنار عائلة الزوج بتهمة قتل اختها.

لكن القاضي اخبرها انه لا دليل على مرض الرجل لأنه لم يدخل الى أي مستشفى والطبيب الذي يتعالج عنده رفض الادلاء بشهادته لان عمله ينص على عدم فضح اسرار مرضاه.

يوم نطق بحكم البراءة في حق عائلة الزوج اصيبت جنار بجلطة.

لقد رأيتها تقع امامي واسرعت اليها ورفعت رأسها وانا ابكي وانادي الناس وارجوهم المساعدة والاتصال بالإسعاف.

اكره تذكر ذلك اليوم.

الزواج اصبح الخداع فيه فن.

اتذكر من أني قلت لعائلة زوج اخت جنار وانا احمل راسها فوق حجري وهي تلفظ انفاسها.

ـ ماذا عن الله الستم خائفين منه انتم وحوش كاسرة تفتك بالضعيف قبل القوي استغللتم رغبتها بالزواج لكبر سنها واحتلتم عليها لقد كان حلمها الزواج لقد كان حلمها بسيط لم تكن تحلم مثل الاخريات بالمال والريادة.

كانت تريد بيتا صغيرا مع زوج بسيط فأهديتموها قهرا شديدا هل أنتم مثل الحيوانات تلتف حول الضعيف لتلتهمه ام أن الحياة حين تقسو على أحد من البشر لا بد من أن نزيد عليه لا بد من أن ندمره أكثر من ما هو مدمر.

لماذا نحتقر من لم يسعفهم الحظ ونسعى أن نزيد على همهم هموما.

لماذا نظلم من لم يقدر له أن يسعد وقدر عليه أن يشقى.

لماذا نزيد من هم الشقي حت ينكسر ظهره من الحمل والعبء.

كانت اخت جنار تحلم بهذا الثوب من اعوام ولم تلبسه إلا لتشقى به اكثر.

ماتت جنار ودفنت وانتسيت القضية.

اما أنا فمات الايمان بالحب في قلبي ودفن مع جنار لقد دفنا معا يوم الاربعاء.

يضحكونني حين يتحدثون عن الحب.

وهل نحن حقا في زمن فيه الحب موجود؟

نحن في زمن الحسابات الاجتماعية اين يحسب سن المراة مكانتها الاجتماعية واموالها وجنسيتها والامر سياء ايضا بالنسبة لرجل.

لا حب في زمن نعتبر فيه عدد الاعوام الماضية على عمر الانسان نقطة ضعف لا نقطة قوة وخبرة.

حين يبحث الرجل على امرأة صغيرة فهذا دليل على غياب الوعي والحب.

حين تهتم المرأة بالمال أكثر من الرجل وقيمته فهذا دليل عل رحيل الحب منذ زمن عن مجتمعاتنا.

نحن في عصر الخداع والاوهام.

مؤخرا سمعت بزواج اميرة من امير على ذمته أكثر من ستة ازواج وهو كبير في السن لكنه كثير المال.

اتساءل أن كان الحب من يدفعها

بالطبع لا لكنها لم تلم فحصانتها كأميرة تمنع عنها القيل والقال.

ذات يوم قالت لي صديقتي أن لم أجد عملا تزوجت وارتحت من الهم.

استغربت لقولها وقلت لها أنتزوج لأننا نريد ذلك الرجل ام لأننا في مأزق ولا بد من حل والحل أي رجل كان.

الزواج بالنسبة لي وسيلة شرعية للعيش مع من نحب لا لإيجاد من يحل مشاكلنا المالية والاجتماعية والاقتصادية وتحقيق احلامنا.

اه تعب دماغي ولم تبدأ القضية.

عماد سلطاني بطقم اسود امامي يحدق الي يا ترى لم ينظر الي اهو مستاء من تواجدي او اسف لم بدر منه لعدم قبوله الاجابة عن اسئلتي.

لم قبل القضية وهو المعروف بدفاعه عن حقوق الناس وامتناعه عن الوقوف مع الظالم.

يدخل القضاة واستعد بدوري لكتابة كل الوقائع والتي ستتغير نوعا ما بعد ذلك لتصبح مقالا.

اخذ كراسا وقلما وابدا الكتابة وانا اتابع كل شيء من مكاني هذا.

احتشدت الجموع في ساعة مبكرة من النهار لحضور هذه المحاكمة التي اعتبرها الكثيرون لأهميتها وغرابتها محاكمة العصر

كل الجرائد والصحف كتبت على الاقل مقالا على هذه المحاكمة وأعلنت فيها عن دعمها لعائلة المقتول فلا يمكن للمجرمة الفلاة من العقاب فالمرأة التي تذبح زوجها ليلة الزفاف لا يمكن أن تكون إلا وحشا كاسرا او سفاحة محترفة تتوق لدماء تباح لتشبع نفسها المتوحشة.

يجلس الكل بعد أن اعلن رسميا عن بدا المحاكمة ويتوقف الهمس وتعلو الوجوه شوقا وفضولا لرؤية المجرمة التي طلب القاضي ادخالها.

تجتاحني احاسيس غريبة متناقضة واضع القلم لأرى جيدا وجه من فعل الفعل المنافي للأخلاق والطبيعة البشرية.

اخذ القلم مرة اخرى بعد أن رأيت المجرمة وابدا في الكتابة.

تدخل المجرمة مكبلة الايدي والارجل وتوضع في قفص على مقربة من الجماهير التي تملأ الصالة عن بكرة امها.

احسب انها في الثلاثينات نحيفة طويلة نوعا ما على اعلى تقديري متر وستون سنتيمتر.

شعر أسفر حريري عيون ضيقة زرقاء بيضاء البشرة هي حقا جميلة الملامح وتوحي بالبراءة.

وجهها طفولي يدعو الى تأمله من كثرة جماله ولطفه.

ايعقل انها ليست القاتلة واعترفت امام العقاب او خوفا من التعذيب المحتمل عليها أن هي لم تعترف بالجريمة؟

يقترب منها عماد سلطاني ويدمدم لها بكلمات لم اسمع منها شيئا ولكن وجهها تهلل نوعا ما بعد سماعها لم قاله سلطاني.

حقا محظوظة هي من ستتزوج بسلطاني ولكن الحياة لا تمنحنا دوما ما نريده تجري الرياح بما لا تشتهي السفن.

وقبل أن يطلب القاضي من محامي الادعاء البدء في عرض الوقائع المستند عليها لرفع القضية الى المحكمة العليا بالجزائر العاصمة تصرخ ام القتيل الجالسة في الصف الاول: حسبي الله ونعم الوكيل يا مجرمة قتلتي ابني الذي شقيت من أجل تربيته لأعوام طوال... حسبي الله ونعم الوكيل زوجتك به ورحمتك من العزوبية وهذا شكرك لي...

يقاطعها القاضي المسئول: اصمتي والى طلبت على الفور من الشرطة اخراجك من القاعة لا اريد أن اسمع أي أحد خلال الجلسة أن لم يطلب منه الكلام.

ردة فعل القاضي غريبة. لقد كان حقا عنيفا مع المرأة. ألأن عماد سلطاني هو من سيدافع على المجرمة؟ فالقضاة متحيزون أم لأنه يعرف اشياءً لا نعرفها نحن؟

عماد سلطاني هو المحامي الاول في البلاد يلقب بالمحامي القرش وينتمي الى عائلة معروفة جدا في المجال السياسي ما ساعده على الانخراط في هيئة حقوق الانسان والصعود في سلم المراتب وهو اليوم رئيس لجنة حقوق الانسان في البلدان العربية.

دفاعه عن هذه المرأة اصلا شرف لها.

دفاعه عنها سيجعل القضاة هادئين مترددين وسيمنحها نوعا من الحصانة فلا أحد منهم سيحاول الاساءة اليها بكلام عنيف او جارح لأنها قاتلة كما يحدث عادة مع القتلة إلا حين النطق بالحكم.

لقد اعترف الكثير من القضاة عن احساسهم بالخوف من المحامي سلطاني كونه شرس وذكي للغاية ومستعد لفعل أي شيء واللجوء الى استعمال ورقة حقوق الانسان لتبرئة موكليه لقد وصل به الحد يوما الى رفع قضية ضد أحد القضاة لإساءته لموكله فهو لا يغفل عن شيء ولا يدع أي شيء لصدفة هو يهتم بأدق التفاصيل ويعد لكل شيء عدته.

تتنفس السجينة من بعد سماع كلمات المحامي وترفع رأسها الى السماء وتتلفظ ببعض الكلمات التي لم يسمعها أحد سوى خالقها.

احسب أن الكلمات دعاء او ما شابه وبصفتي صحفية تمنيت لو اقتربت أكثر وأصغيت لما قالته لتوها.

أيعقل انها كانت تستغفر ربها لذنبها؟

احسبها كذلك فذنبها كبير يستحق الاستغفار دون توقف فما فعلته ليس هينا ولهذا ارسلني التافه مديري في العمل لاستبيان وقائعه والكتابة عليه.

مدير الجريدة حيث اعمل يحب الفضائح وهذا النوع من الاحداث ليضفي عليها رشة من لمسته الشيطانية فيصبح الحدث سبقا صحفيا من النوع الذي يعشقه القراء.

فحسب قوله معظم القراء يفضلون ويستمتعون بقراءة المقالات المتعلقة بالفضائح خاصة فضائح الفنانين الذين يتزوجون ويطلقون وفق المواسم وكأن الزواج ملابس لابد من استبدالها وفق الفصل الذي نحن فيه لتتماشى مع الفصل ومتطلباته.

ذات يوم بعنا اعدادا هائلة من جريدتنا لان المدير من أملى علينا ما لا بد لنا من كتابته فقد منح لكل صحفي موضوعا وطلب منه الكتابة عليه.

كانت المواضيع تافهة للغاية.

مع هذا بعنا كل العدد واضطررنا لطباعة العدد مرة اخرى.

كانت المواضيع تتحدث جلها عن حياة اللاعبين عن زواج المغنيين عن طلاقهم عن انجابهم وعن فسخ خطوبتهم.

لا افهم لم يهتم الناس بهذه المواضيع وماذا سيجنون من متابعة اخبار مثل هذه؟

ما همني أن تزوج الفنان فلان او علتان؟

ما همني أن تطلق الفنان فلان او علتان؟

ما همني أنا أن انجب الفنان فلان او علتان او خان زوجته او لبس ثوبا طويلا او سروالا ماذا ساجني أنا ماذا سيتغير في حياتي أن اهتممت بهم؟

مديري انسان تافه مع هذا يفهم كيف يثير القارئ ويجذبه اليه.

او ربما الفضائح من تثير الكثير من القراء وتجذبهم اصلا.

مديرنا لا يتحدث إلا على الفضائح ولا يعيش إلا معها ولها.

حين طلاقه من المغنية سهان هو من قام بإشاعة الخبر بعد أن كتب مقالا بنفسه عن طلاقه.

رثى في المقال حبه وحياته ليثير القارئ وتعاطفه.

بكى امام الكاميرات ليزيد من تعاطف الناس معه فيجذب الكثير من القراء الى الجريدة.

ياله من نذل يستعمل حياته الخاصة لربح الشهرة وزيادة عدد القراء.

مديري من النوع الذي يحب الكاميرات والشهرة بأي ثمن ومهما كان الثمن.

محامي الهجوم: في اليوم الرابع من شهر اوت 2005 والموافق ليوم الخميس قامت المجني عليها الماثلة امامكم داخل قفص الاتهام والملقبة بزين قمري بقتل ابن موكلتي على الساعة الثانية عشرة ليلا بعد انتهاء حفل الزفاف وتوجههما الى الغرفة المعدة لهما.

يصمت قليلا ويقترب من طاولة القضاة ويضع ملفا عليها.

هذا الملف هو ملف الطبيب الشرعي لقد قامت المتهمة بتوجيه ثلاث طعنات متتابعة بالمقص الى منطقة البطن ما اودى بحيات المجني عليه على اثر نزيف حاد.

لم تهتم المتهمة بفعلتها وقامت بالهروب امام توسلات الام المستغيثة بالمساعدة لإقالة ابنها الى المستشفى لإيقاف الدم وانقاذه.

تمت الجريمة يوم حفل الزفاف ما جعل الغرفة تمتلئ بالمعازيم بسرعة بعد سماع صرخات الام فقد كان معظم اقاربهم موجودين في الطابق الاول وبالطبع الكل مستعد للإدلاء بشهادته ضدها غير انه فكرت وفضلت عدم استدعائهم بما أن المتهمة اعترفت بجريمتها.

يقف المحامي عماد ويمرر يده في شعره الاسود الحريري ويقول: لدي اعتراض

القاضي: لم يقم المحامي إلا بوصف الاحداث فعلى ما تعترض؟

المحامي عماد: قام زميلي بوصف اقوال موكلتي بالاعتراف واحب أن اوضح الامور امام الجميع لم يكن اعترافا كون أن موكلتي لم تنف الامر ولم تسعى الى انكاره ليكون اعترافا. لم تتكتم موكلتي على ما وقع وقد حكت لضابط المسئول كل وقائع القضية بالتفصيل الممل عن ما وقع وقيل قبل أن يطلب منها وسيكون هذا الضابط أحد الشهود.

محامي الهجوم بسخرية: من كلامك استنتج أنك تحاول انكار هروبها من بعد طعن الضحية فكلامك يشير انها لم تتكتم ولم تنكر ولم تسعَ الى اخفاء كونها القاتلة.

المحامي عماد: لم تحاول موكلتي الهروب فقد أغمي عليها بعد طعن زوجها وما قيل في الجرائد عن محاولة هروبها مجرد تزوير وتدليس

للحقيقة وبالطبع لدي شهادة عناصر الحماية المدنية الذين كانوا اول من وصل الى المنزل بعد وقوع الجريمة بعد اتصال تلقوه من ام المقتول مفاده أن كنتها قامت بطعن ابنها.

يفجع محامي الهجوم ويصمت وبعد تفكير معمق يقول: المهم اعترفت القاتلة بجريمتها وانا اطالب بأقصى عقاب لها... الحبس المؤبد او الاعدام لتكون عبرة لكل امرأة يخطر على بالها قتل زوجها يوم الزفاف

يشكر المحامي هيئة القضاة على استماعهم لمرافعته بعدها ينسحب ويجلس قرب ام المقتول ويقوم القاضي بالإعلان عن بدا وقت مرافعة محامي الدفاع.

يقترب عماد بطقمه الاسود الانيق من القضاة وهو يمرر يده في شعره الاسود الحريري يضع الملفات على طاولتهم ويستدير الى الوراء ليرى الحضور ويقول بجدية ودون أدني خوف او قلق: ليس كل قاتل ظالم وليس كل مقتول مظلوم... فالأمور قد تظهر على غير ما هي عليه او تفهم على غير حقيقتها حين كنت صغيرا كان والدي يروى لي على الدوام قصة تتحدث عن اسد مات جراء نطح قاتل تلقاه من غزال ذو قرون طويلة فهل الاسد المقتول بريء والغزال الناطح مذنب؟ بالطبع لا فالأسد اصيب حين كان الغزال يحاول افلات نفسه من بين فكيه لأنه امسك به وقرر جعله غذاء له... فنطحه للأسد كان دفاعا عن النفس...

يقوم محامي الهجوم من على مقعده وهو غاضب ويصرخ: اعترض.

يضحك عماد بسخرية ويجيب: هل تعترض على أن الاسد كان يريد اكل الغزال ام على القصة كلها.

القاضي: اعتراضك غير مقبول... محامي الدفاع بإمكانك أن تكمل.

عماد: في سنة 1950 قام زوج بقتل زوجته عن طريق الخطأ وذلك بعد أن قام بإخبارها ممازحة أن ابنهما وقع في البئر ومات على أثر وقوعه. صعقت الزوجة وتلفظت انفاسها الاخيرة والدموع تنهمر من العين اليسرى دون العين اليمنى التي شلت حركتها بعد سماع الحدث.

لم يفعل الرجل ذلك إلا ليرى ردة فعل الزوجة ويثبت للابن أن امه تحبه فالطفل المراهق ذو الخامسة عشر عاما لطالما ردد جملة امي لا تحبني لأني لست مثل اخي الاكبر الناجح قي كل ما يقوم به.

لم تتحمل الام وماتت بسكتة قلبية.

محام الهجوم: ماذا تريد اثباته؟

يضحك عماد ويتنهد: حين كنت صغيرا لم أشته يوما أن اكون محاميا لان الامور كانت تختلط علي كثيرا وكنت اخذ بالنتائج قبل الاسباب إلا أن سمعت من جدي قصة مفادها أن الاسباب من تولد الناتج وليس العكس.

ان الاخذ بما نراه او النتيجة فقط ليس كافيا لإدانة أحدهم فمن الجهل أن يؤاخذ أحد قبل معرفة الاسباب التي دفعته لفعله.

محامي الهجوم: اعترض كليا.

القاضي: على ما تعترض؟

محامي الهجوم: على ما يرمي اليه من كلامه.

عماد: ما اريد قوله هو أن زين قمري قتلت حقا زوجها وكانت في كامل قواها العقلية حين قامت بالفعل وهي اخبرتني حين تحدثت معها وعرضت عليها مساعدتي بأنه لو عاد بها الزمان مرة اخرى لذلك الموقف لقتلته مرة اخرى دون تردد.

هي ليست نادمة على قتله بقدر ما هي نادمة على زواجها به هي ترى نفسها مذنبة في شيء واحد هو قبولها بزوج أفضل منها على كل الاصعدة إلا على الصعيد الخلقي أن المرء حين يقرر الزواج عليه النظر في اخلاق الطرف الثاني قبل كل شيء.

ابتسم وانا ارى طريقة المحامي سلطاني في المرافعة قد سمعت الكثير على براعته لكني لم اتخيل انه بارع الى هذا الحد.

لا أستطيع إلا أن اقول إن المدح والوصف لن يوفياه حقه.

يقترب من القاضي ويقول: كثير استغرب قبولي للقضية لكن الوقائع التي سمعتها من موكلتي جعلتني أصر على أن اكون المحامي الذي يمثلها ويقف معها. موكلتي امرأة بسيطة عاشت حياة ملؤها البؤس مع انها طيبة تحب الخير للكل.

حين كانت في السادسة عشر من عمرها انفجرت قنبلة في حافلة عمومية ما اودى بحياة والديها ودفعها للعمل كخياطة لتربية اخوتها الثلاثة.

تخلت عن دراستها وحياتها من أجل اخوتها.

في هذه الفترة من حياتها كثيرون من تقدموا لطلب يدها لكنها رفضت لان الظروف لم تسمح ولان اخوتها كانوا في حاجة الى من يعوض على الاقل ماديا والديهما.

تكفلت باليتامى الذين سرعان ما غدو رجالا.

فرحت بهم وبنجاحهم كما تفرح الام بأطفالها او ليسوا اطفالها بشقائها.

وظنت أن الايام السعيدة ستكون من نصيبها ولكن الامر لم يكن كذلك.

تحول اخوتها الى اشخاص غير الذين كانت تعرفهم وطالبوا بإرثهم الذي لم يكن سوى ذلك المنزل الكبير الذي تركه الوالد والذي عاشوا فيه مع اختهم.

رفضت موكلتي التوقيع على عقد بيع المنزل ما تسبب في مشاكل كثيرة مع اخوتها وجعلهم يحقدون عليها ويمقتونها متناسيين ما فعلته من اجلهم طيلة خمسة عشرة عاما.

مضت الايام والايام ورأي موكلتي فيما يخص بيع المنزل لم يتغير فيه شيء. الى أن تفطن أحد اخوتها الى حيلة تتمثل في جعلها توقع على البيع على جهل منها.

وقعت على بيع أغلى شيء على قلبها ما تبقى من رائحة الاهل وبين ليلة وضحاها غدت متشردة ومعها مبلغ مالي من حصتها من البيع.

مكثت في فندق بسيط بعد أن تخلى اخوتها عنها.

يستدير المحامي عماد ويحدق الى الحضور ومن ثم يحول بنظره وتركيزه الى موكلته القابعة خلف قضبان الحديد.

ينظر اليها بحزن شديد ويقول: أفضل أن تسرد الوقائع بنفسها...

يقاطعه محامي الهجوم: لسنا هنا لسماع قصة حياتها فقصة حياتها لا تهم احدا منا موكلتك اعترفت بالجرم وانتهى الامر.

المحامي عماد: لم انكر قتلها لزوجها ولكني مع هذا لا اصنف قتلها لزوجها في خانة الجرائم ما فعلته لن يوضع في أي خانة الى حين صدور الحكم النهائي.

محامي الهجوم: عماد أنا لن اجادلك ولكني لست موافقا اطلاقا على استدعاء القاتلة لسرد حياتها.

يسعل القاضي لجذب الانتباه اليه واذا بكل الانظار اليه تتوجه ثم يقول بكل وقار: احظروا المتهمة الى هنا.

بعد وقت ليس بالطويل نرى المتهمة زين قمري مسحوبة من طرف شرطيين الى كرسي الاعتراف تجلس او ربما تدفع دفعا الى الجلوس وقبل أن تنطق بكلمة يقول القاضي: سيد عماد اتمنى أن لا يؤخذ الامر وقتا طويلا.

يحرك عماد رأسه دون قول كلمة اجل.

نرى المتهمة تتلمس وجهها الحزين الشاحب وهي تحدق بعيون مملوءة بالحزن الى الوحيد الذي هو في صفها في القاعة وقبل أن تنطق بكلمة يبتسم اليها عماد ليشجعها على الكلام وهو يقول: الحق مهما طال سينتصر.

تبتسم بحزن وهي تقول: اتمنى ذلك.

ام القتيل وهي تنوح: انت مجرمة... انت مجرمة...

القاضي: اعتقد أنك تحبين الخروج اليس كذلك؟

تصمت ولا تنطق بكلمة.

زين قمري: لا اعرف من اين ابدا فلم تكن هناك بدايات كثيرة في حياتي.

حياتي مجموعة من النهايات والنقاط.

لكني سأكمل من حيث انتهى المحامي.

مكثت في الفندق اياما وانا ضائعة خائفة من الاتي والوحدة التي فرضت علي من اخوتي بعد بيعهم للمنزل الذي كان من رائحة الاهل.

فكرت مليا فيما علي فعله لكن خوفي كان يوصلني الى الصفر فلا حل لامرأة وحيدة دون سند سوى التشرد او الانحراف بهذا كان خوفي يحدثني.

بعد مضي شهر من المكوث في الفندق دون خروج ودون الحديث الى أحد اهتديت الى امر هو شراء منزل بسيط للعيش فيه وفتحه كورشة خياطة.

وفعلا اشتريت منزلا في حي فقير ليس بعيدا عن الحي الذي يحوي منزل...

تصمت المتهمة ولا تكمل ولكنها تحدق بعينيها الى من كانت حماتها لساعات.

القاضي: الحي لم يكن بعيدا عن الحي الذي يسكنه اهل زوجك.

تهز رأسها ولا تعقب عن الكلام الذي سمعته.

زين قمري: اشتريت منزلا في الطابق الارضي في عمارة قديمة متكون من غرفتين وحمام جعلت من الغرفة المطلة على الشارع ورشة خياطة ومن الغرفة الاخرى مكانا لنومي ولطبخ.

وهكذا بدأت حياتي تعتدل نوعا ما كنت اخيط لناس ملابس مقابل المال الذي كان يسد عني الجوع والحاجة وطلب العون من الغير.

مضت الشهور دون أي تحول في حياتي غير أني ربحت السمعة الحسنة وأصبح لدي زبائن كثر حتى من الاحياء الاخرى الاحياء الثرية ومن بينهم...

تصمت المتهمة ولا تكمل ولكنها تشير بيدها الى من كانت حماتها لساعات.

القاضي: حسنا.

زين قمري: كانت تأتي وتطلب مني أن اخيط لها الملابس.

لم يكن هناك أي حديث يجري بيننا.

كانت تأتي وتضع القماش على طاولة عملي وتطلب حاجتها وتخرج.

وعند عودتها تسال عن الثمن وتدفع دون أي نقاش عكس معظم الزبائن الذين كانوا على الدوام يطالبني بالتخفيض لقلة مالهم وفقرهم.

كانت من أحب الزبائن الى قلبي لا تكثر القيل والقال تأتي لمطلبها وتدفع عند حصولها على المطلب وانتهى الامر.

لكنها ذات يوم اطلعتني عن رغبة ابنها في الزواج وهي الكتومة التي تحسب لكل كلمة الف حساب وحساب.

اعتقدت انها تريد مني العون في ايجاد عروس لابنها فأخبرتها انه لا معرفة لي بالناس ولا بمعدنهم ولا بأخلاقهم.

كيف اكون اعرف الناس بالناس وانا المخدوعة من أقرب الناس الي. لقد خدعت من أحب الناس الى قلبي وهذا دليل جهلي بالناس.

حركت رأسها وقالت: أنا هنا من اجلك والعرض موجه اليك.

قلت في لهجة حائر ضائع: سيدتي أنا مجرد امرأة شابت من اهوال الدنيا قبل الاوان وان الرجال يهوون المرأة المدللة الحسناء وأن الهم اضاع مني حسني ولم يبق منه إلا القليل.

قالت: لا عليك أن الحسن حسن الروح...

قلت لها: وهل تعتقدين أن ابنك سيرضى بي؟

قالت: سيرضى فقري عينا.

لقد رفضت في بادئ الامر ولكنها الحت علي بإصرار حتى اقتنعت.

لقد خدعتني بالقول المعسول وقبلت ولم أجد نفسي إلا عروسا بعد بضعة اشهر.

دخلت الغرفة مع العريس الذي لم يكن بالحسن الذي وصفته عليه امه بل كان بسيطا جدا ولم يظهر لي انه رجل متعلم بل كان مظهره يوحي بالفقر المالي والثقافي...

جلست وجلس مقابلا لي وبدأنا نتجاذب اطراف الحديث واذا هو يقول لي انه ليس مهندسا في امريكا بل مجرد موظف في مطعم بسيط.

تعجبت من الامر لان امه اخبرتني انه مهندس وليس غير ذلك ولكن الامر لم يهمني كثيرا ولم يزعجني كثيرا لست صاحبة علم ولم ارجو يوما الزواج بمهندس.

تبادلنا اطراف الحديث مطولا فأحس بالراحة واطلق العنان لنفسه وزلت لسانه واخبرني من بعدها بما صدمني وجعلني افقد عقلي انه مصاب بالإيدز.

لم أكن اعرف عن الامر شيئا كنت اجهل انه مريض تسترت امه عن الامر ولم تطلعني عليه.

ام المقتول: انها كاذبة محتالة لا تصدقوها اقسم بالله الذي لا إله إلا هو أني اخبرتها بكل شيء وقبلت بالأمر ولم تهتم له أن الله يرانا الست خائفة من عقابه...

يقاطعها القاضي: اخرجوا المرأة من القاعة فورا...

ام المقتول وهي تسحب من طرف شرطيين من القاعة: حسبي الله العظيم... حسبي الله ونعم الوكيل... اللهم لك اشكو ضعفي وقلة حيلتي...

القاضي وهو يحدق الى زين قمري: بإمكانك أن تكملي حديثك.

- تذكرت اخوتي الذين قاموا هم ايضا بخداعي فقدت عقلي كليا توقف الدم في عروقي وجسدي وارتعشت اوصالي لما قاله واخذت اهدأ نفسي بنفسي بمحاولة لتنفس فقد فقدت القدرة على التنفس لمدة طويلة حتى كدت اختنق.

سمعته يقول: وهل تعتقدين أن رجلا مثلي يقبل الزواج بمثلك لو لم يكن مريضا او على حافة الموت.

استثرت غضبا وتمنيت موته ولكني تحكمت في اعصابي وقررت الرحيل لأنه أفضل حل لم ارد قتله ولم افكر في الامر.

قلت له الطلاق ما اريده منك ولن اطالبك بغيره لأنك لا تستحق غير هذا ولن احتاج منك غيره.

فتحت الباب ولكنه اسرع واغلقه ودفعني بقوة الى الداخل وقال وهو يتوعدني سأقتلك أن سعيتي لفضحي.

قلت له وانا ابكي: فضحك لا يهمني ولكن العيش معك ايضا لا يهمني.

قال: حثالة مثلك لا ترضى العيش معي هههههه...

قلت له: الحثالة أفضل منك وان كنت حثالة فدعني امضي فهذا سيخلصك من العيش وتحمل الحثالة على حد قولك.

تنهد وقال: اللعنة على هذا المرض لو لاه لما قبلت الانحطاط الى حد الزواج بك.

حاولت مرة تلو الاخرى الرحيل لكنه كان يصدني ويدفعني بقوة للعودة الى الغرفة.

بعد المحاولة العاشرة نفذ صبري ولم يعد لي قوة على الصبر فأخذت مقصا كان على الطاولة على مقربة منه وهددته به وانا اقول له: دعني اخرج وإلا اهدرت دمك وجعلته يسيل شلالا امام جسدك.

ضحك ساخرا: حتى القتل لا بد من الذكاء لأدائه ا لا تعتقدين ذلك؟

لم اجب على قوله ولكني تمنيت لو يصمت الى الابد.

اقتربت من الباب والمقص دوما في يدي اهدده به.

فتحت الباب وإذا هو يهجم علي لينتزع مني المقص.

بدأنا صراعا غريبا من أجل شيء تافه هو المقص.

ولم ينته الصراع إلا والمقص مغروز في صدره رأيت الدم ولم اعرف ما افعله كان الدم يتدفق شلالا اخذت المقص وأردت أن اخفي الدليل واذا بي اغرزه مرة اخرى ومرة اخرى فقدت عقلي ولم اعلم ما افعله.

فجأة رأيت أمه أمامي وإذا هي تلطمني وتسرع وتتصل بالإسعاف وبعد الاتصال تقترب مني لتلطمن مرة اخرى واخرى وهي تصرخ بأعلى صوتها يا مجرمة قتلتي ابني الوحيد...

فقدت وعيي من قوة لطمها ولم افق إلا على ايدي رجال الحماية المدنية.

من بعد ذهاب رجال الحماية المدنية تجمع من حولي اقارب الحماة وبدأوا في ضربي ودفعي حتى اتت الشرطة وانتزعتني منهم انتزاعا فسئلوا من طرف الشرطة عن سر فعلهم العنيف المنافي لرحمة والبعد عن الرأفة فقالوا عني كذبا وبهتانا أني حاولت الفرار ولم يكن لهم إلا ضربي لردعي.

انتهى بي الامر مكبلة بالأغلال بدون ولي يسعى وراء نجدتي حتى اتاني المحامي سلطاني واستفسر عن امري فأطلعته عن المستور والمكتوم فتعهد امام الله أن يساعدني لينصر حقوق الانسان كما فعل دوما وكما سيفعل دوما.

يقترب المحامي سلطاني من القاضي ويضع ملفا على طاولة القضاة وهو يقول: ملف الطبيب الشرعي والتحقيق الجنائي الذي يؤكدان قول موكلتي...لقد وجدت بصمات الاثنين على اداة الجريمة والمقتول حقا مصاب بالايدز.

يتراجع الى طاولته ويأخذ ملفا اخر ويعطيه الى القاضي وهو يقول ملف التحقيق موقع من الشرطة التي قصدت المكان يوم الجريمة وكل ما قيل من موكلتي اليوم مكتوب هنا وموقع من المحقق الفدرالي انور

مهري ما يؤكد على مصداقيتها ومصداقية قولها... موكلتي كانت في حالة دفاع عن النفس لم تخطط للأمر مسبقا.

محامي الادعاء: اعترض...

وقبل أن يكمل قوله يقول القاضي: اعتراضك مرفوض...

المحامي سلطاني بكل ثقة وقوة: اطلب من سيادتكم فك حبس موكلتي استنادا لما هو مكتوب في الملفات امامكم واستنادا لما هو مكتوب من الشهود وموقع عليه من طرفهم.

ترفع الجلسة لنظر في الملفات المقدمة لهيأة المحكمة.

اخرج من المحكمة وانا على يقين أن المتهمة ستخرج على اساس أن جريمتها دفاع عن النفس وهذا ما وقع فعلا بعد اسبوع من عقد المحاكمة تخرج زين قمري من السجن منتصرة على من اتهموها زورا.

مضى عامان من حياتي ولم افعل أي شيء سوى كتابة مقالات ومقالات...

صحفيه هذا ما أنا عليه وهذا ما حققته في حياتي كانت احلامي كثيرة ولكن الحياة علمتني أن ارضى بالقليل وافرح به واستغني به واتجمل.

اقف امام مكتبي وأتوجه الى النافذة بخطى متثاقلة وافتحها لأطل منها لأتفرج على الكون المحيط بالمكتب.

أن الحزن يملأ قلبي دون سبب يذكر.

أحس بحزن كبير يثقل على قلبي وأنفاسي، هزائمي الكثيرة في الحياة جعلتني أؤمن بالحزن أكثر من ايماني بالفرح.

ارى الحديقة والناس فيها يتجولون المح على بعد امطار زين قمري متوجهة الى العمارة حيث دار النشر هذه وحيث مكتبي موجود.

اتنفس بعمق لكن لا شيء يدخل رئتي سوى الحزن الذي يملا جو المنطقة والحرارة الشديدة التي تكاد تكتم على انفاسي.

يرن هاتفي فأسرع اليه وانا اثاءب.

اجيب واقول: مرحبا من معي؟

- مرحبا أنا زين قمري، لم اسالك أمس حين طلبت رؤيتك عن الطابق الذي فيه دار نشركم؟

- الطابق الرابع مكتبي موجود قرب مكتب المدير مكتوب على الباب نائب المدير الهام نهار.

- حسنا سأكون عندك بعد بضع دقائق.

اقفل الخط واجلس وابدا في تصفح المقال الذي اعددته عن سرقه وقعت منذ يومين.

ارى السكرتيرة تفتح الباب وهي تقول: سيدتي زين قمري هنا وهي تريد الدخول لرؤيتك.

أحرك راسي بالقبول.

أقف واقترب منها اصافحها وانا أقول لم اتصور اننا سنتقابل مرة أخرى مضى على قضيتك عامين وعلى مقالي الذي كتبت فيه عن براءتك عامين أيضا كيف حالك؟

تجلس على الاريكة واجلس على الاريكة الاخرى المقابلة لها.

- اه نسيت هل تريدين شرب شيء معين؟

- لا شكرا

اطلب من السكرتيرة المغادرة وغلق الباب خلفها.

- ماذا اتى بك؟

- ليس خيرا حتما!

- عفوا!

- لا شيء لا تهتم بالأمر!

- ماذا اتى بك وجعلك تزورين مكتبي؟

- ليس خيرا أنا مصابه بالسرطان وايامي معدودة.

أحب أن اقول لها لست بطبيبه والمكان ليس بمستشفى اتراجع عما في نفسي واقول لها بحزن مبتذل ومصطنع: متأسفة جدا على ما اصابك.

تبتسم وتقول: لا عليك

اصمت ولا أجد كلاما اقابل به ردها

- تعلمين لقد فكرت كثيرا قبل أن اتصل بك او احضر هنا، لكن كما يقال لا مفر من الحق ولابد للحق أن يسطع كما تسطع الشمس

- عن اي حقيقة تتحدثين؟ هل هناك حقيقة اخرى غير التي قيلت في المحكمة وأعلن عنها في كل الاماكن.

- لا نستطيع أن نتكتم عن الحق طيلة الحياة والدهر لابد أن ننفض الغبار عنه ليظهر للعيان جليا.

تعبت من الكثير من الاشياء وتمنيت لو اقدر على الرحيل الى مكان مهجور لا اسمع فيه احدا ولا يشاركني فيه احدا وليس فيه أحد لماذا اخترت أن اكون صحفية أ لأكشف المستور او لأفضحه امر لم اعد اعرفه ولست متيقنة منه.

- انسة الهام هل تسمعين قولي.

- أجل عن اي حق تتحدثين؟

- عن الحق الذي ضاع منذ عامين.

- ألم تبرئي؟ ألم تحصلي على كل ممتلكات العائلة من بعد موت حماتك بجلطة دماغية بعد شهرين من مقتل ابنها واسبوع واحد من تبرئتك.

تصمت ولا تجيب

- ماذا هناك زين؟

- الهام انتذكرين المقال الذي كتبتيه عن المحامي عماد سلطاني.

- عادة لا اتذكر اي شيء من ما كتبته شخصيا.....

قبل أن أكمل قولي تأخذ من حقيبتها هاتفها النقال وتبدأ في قراءة المقال الذي يعود تاريخ نشره الى عامين من الان فبعد الفوز بالقضية حصلت بعد الحاح طويل على شرف مقابلة عماد سلطاني وكتبت مقالا عنه

" عماد سلطان من لا يعرف هذا الاسم.

الاسم اللامع لرئيس هيئة حقوق الانسان الذي لا طالما سعى للحصول على حق كل مظلوم ونصر كل من اخذت منه حقوقه غدرا او غصبا.

عماد سلطاني محامي سخر حياته للدفاع عن الناس مع انه لم يقرر في بداية حياته أن يكون محاميا وهذا نص ما ورد على لسانه.

*مع أني انحدر من عائلة الجد فيها محامي كما هو حال والده وولده لم استوعب منطق الدفاع عن شخص قتل وان كان الامر غير مقصود لم اتقبل الامر فالقتل قتل والنتيجة واحدة هو قاتل والميت مقتول.

لم أحب هذا العمل وتمنيت أن اعمل في الطب فبدل الدفاع عن الناس تمنيت انقاذهم من الموت ومن المرض الى أن روى الجد لي قصة سمعها من والده وقد سبق أن رواها لوالدي ما جعل الكل يتمسكون بهذا العمل المميز.

منذ زمن بعيد كان هناك رجل صالح عابد لله يسمى أكرم يسكن قرية محاطة بسهول شاسعة خصبة. كان أكرم ذو السبعين عاما يملك كل الاراضي المحيطة بهذه القرية لم يرثها ولكنه اشتراها بماله الكثير الذي تحصل عليه من تجارته.

قبل أن يسكن أكرم القرية كان يسكن قصرا شاسعا في المدينة مع زوجته واطفاله الثلاثة الى أن سمع من أحدهم يوما عن هذه القرية وكثرة طغيان وفساد من يسكنها ومن شدة مكرهم سميت القرية قرية المحتالين، اراد الاصلاح فيها فانتقل اليها مع زوجته وأصغر ابنائه سيف بعد أن اشترى ما فيها وما يحيط بها ليتمكن من توفير العمل لسكان القرية ويساعدهم على الابتعاد عن ما هم فيه من البؤس والشر.

اطلع أكرم الامير على مخططه الذي رحب به وفرح كثيرا بالفكرة ووعده أن يقف معه أن وقع طارئ او ما لا يحمد عقباه مع سكان القرية الاشرار.

بعد الانتقال مباشرة عرض أكرم العمل على سكان القرية ولم يلقى سوى الرفض والسخرية، لأنهم من النوع الذي يفضل كسب المال بيسر في الحرام على كسبه بعناء في الحلال.

أحضر أكرم العمال من القرى المجاورة وزرع السهول وحصد وباع وكسب الربح والمال الوفير اما سكان القرية فبقوا على حالهم فكانوا بمثابة ذئاب ضالة لا تنفك عن الحوم بأملاك أكرم لسرقة ما يمكن سرقته الى أن تفطنوا الى حيلة تمكنهن من اخذ الكثير من اكرم دون أي جهد استعمال ابنه سيف والتقرب اليه.

وهكذا أصبح سيف يأخذ من غلة والده الكثير ليرضي البطون الكبيرة المحتالة دون ما علم من والده وكلما دخل والده المخزن واستفسر عن النقص في الغلة اجابه سيف ذو السادسة عشر عاما أن الجرذان من فعلت وان عددها كثير ولهذا فان أثرها كبير على الغلة.

صبر الوالد المخدوع على الجرذان خمسة اعوام بعدها طلب من محاسبه أن يأتيه بسم قاتل.

اختلط السم القاتل بالغلة ودون دراية منه تصدق سيف من الغلة لسكان القرية لمساعدتهم لسد جوعهم على حسب قولهم واكاذيبهم التي اقنعوا بها الطفل.

على أثر الاكل من الغلة المسممة قتل أكثر من نصف القرية ما جعل الخبر يصل مسامع الامير وكل الناس في الامارة ارسل الامير من يحقق في الامر وبسرعة وصل الى الجنات السيد اكرم وابنه سيف.

أعدم الاثنان دون النظر في الاسباب لان النتيجة كانت مهولة نصف القرية مقتول.

مع هذا فان الامر ليس عادل أن يعدم الاثنين مع انهما لم يريدا إلا الاصلاح الاول اراد أن يصلح طباع سكان القرية والثاني اراد أن يعينهم على سد جوعهم.

لو كان هناك محامي عادل أشرف على القضية لم وقع ما وقع ولدافع عن الاثنين واعاد حقهما لكن عمل المحماة لم يكن بعد قد ظهر في ذلك الوقت.

أكرم وسيف ضحيتين لجهل بالأسباب والأخذ فقط بالناتج عن الاسباب.

الاخذ بالناتج من دون الاسباب ظلم فلو اخذنا بالناتج فقط في قضية السيدة زين قمري لما فك سراحها أن العدل يطلب منا تصفح الاسباب وكل الوقائع للوصول الى الحقيقة. *...

- لماذا قرأت علي مقالا أنا من كتبته ويعود نشره الى عامين.

- الم تتساءل أن كان ذلك السم المقصود به حقا الفئران ام سكان القرية.

- ماذا تقصدين بذلك؟

- أن يكون ذلك السم مقصود به سكان القرية، والغاية منه قتلهم.

- لقد حكم عليهم بالقتل والقصة تعود الى اجيال قديمة.

- ماذا أن كانت تلك القصة وقعت الان هل ستحاولين اخبار الجميع أن تلك العائلة تستحق القتل ام ستتغاضين الطرف.

اصمت ولا اجيب!

- القصة تشبه قصتي ولكني نجحت في ايهام الجميع أن السم ليس مني بل من غيري.

- ماذا تريدين مني بالتحديد؟

- اريدك أن تنشر مقالا فيه حقيقة ما وقع!

- وهل هناك حقيقة اخرى غير التي قيلت في المحكمة؟

- اتعتقدين أن الحقائق تقال في ألمحاكم معظم ما يقال في المحاكم تدليس في تدليس.

- أنا لن اكتب اي شيء.

- بلى ستفعلين أنا مصابه بالسرطان وأيامي معدودة لن احمل على عاتقي تلك الاكاذيب.

- وماذا عني هل علي أن احمل على عاتقي واجب اخبار الناس بالحقيقة ما ذنبي أنا أن كنت من اخفى الحقيقة ومن ثم لماذا الآن لماذا تريدين تعرية اكاذيبك الان.

- لأني مصابه بالسرطان.

- أو لو لم تصابي به ما اخبرتي الناس بالحقيقة.

- أن النعيم ينسينا الحق نحن البشر أرواح ليلية لا نرى الحق إلا ببزوغ القمر او شروق الشمس....

اقاطعها: هل القمر هو السرطان والشمس هو الموت...

- لا السرطان هو الخوف الذي يلاحقك ويجعل عيونك تدمع لأخطائك السرطان هو ضميرك المستيقظ... حواسك التي تغدو جامحة مصغية لكل شيء من حولك وخلفك.

- أنا لن اساعدك ولن اكتب عن امرك شيئا.

- لماذا؟

- لان السرطان هو من يدفعك لا اخلاقك لا ندمك لا خوفك من عواقب ما فعلتي، انت دمرت تلك العائلة بفعلتك، رميت بهم الى اسوء بحيم بفضلك ماتت ام الشاب وبفضلك اغلق منزلهم..

لقد خدعت الجميع ومضى على الامر عامين ولم يعد الامر مهما.

- الامر مهم لي، لأني راحلة من هذا العالم اريد أن اخفف عن نفسي أني لا انام الليل من ضميري المؤنب لي.

- لماذا نحن أرواح ليلية لا نبصر إلا حين مرضنا حين وقوعنا في مأزق هل نحن طيبون بالفطرة ام اشرار بالفطرة؟

تعبت من الاكاذيب ومن سماعها ونشرها اعتقد انه علي التوقف عن عملي والسعي خلف عمل اخر ليس فيه هذا النوع من الحقائق والفضائح معلنا عليه او مكتوب عليها.

تقترب مني وهي باكية بحرقة تأخذ يدي وتقبلها دون توقف والدموع تنهمر شلالا حتى تبلل يدي وثيابي.

أسرع في سحب يدي.

تركع على الارض من الحزن وألم ما فعلته وأنكرته ذات يوم وتقول بصوت متقطع من البكاء: بحق رب الكون بحق رب الكعبة أن تساعديني، ليس من أجلى بل من أجل ذلك الرجل الميت من أجل تلك المرأة التي طردت من قاعة المحاكمة ولم ينصرها أحد من البشر لكن الله نصرها وجعل السرطان يفتك بي لاعترف بالحق لقد نصرها الله بعد حين... لقد نصرها الله حتى بعد موتها حقا أن الله يمهل ولا يهمل استحق المرض والموت أنا روح ليلية عمياء لا ترى فعل الشر امر لا يجوز... السرطان من جعلني افيق وأبصر.

تبكي بشده حتى أحس بقلبي ينفطر ويذوب.

ارفعها من كتفها وأساعدها على الجلوس واخذ ملفا من الدرج وقلما من حقيبتي وأقول لها: بإمكانك البدء.

وهي تبكي تقول: قبل تورطي بالزواج بالمغدور به كما تسمونه او كما أصبح اسمه كنت على علاقة مع فقير لا يملك من الدنيا سوى اخلاقه وصلاحه.

تواعدنا على البقاء معا والزواج معا.

لكن حماتي او بالأحرى ام المغدور به اتتني يوما مستبشرة وجلست على الكرسي على غير عادتها وأطالت المكوث مثلما لم تفعل يوما.

تمنيت مغادرتها ولكن فكري اخذني وأبحر بي في كل الاتجاهات وارسى على انه علي سؤالها عن حاجتها.

تنهدت وقلت: ما حاجتك يا سيدتي؟

ابتسمت وفتحت ثغرها لأرى ثراءها الفاحش في فمها المملوء بأسنان صفراء ذهبية وقالت: بشراك بشراك جاءك الهناء والنجاح الى بيتك... اليوم يوم سعدك.

اجبتها ساخرة: هل عادت امي الى الحياة ام أن والدي من افاق من موته وعاد حيا قبل اليوم الموعود.

اجابت: لا هذا ولا ذاك.

قلت لها: أن الامر لا يعنيني ولا يخصني... الفرح امر غير متعلق بي ولن يغويني ويفتنني بعدما هجرني ورحل عني منذ اعوام.

أجابت: قد عاد ولن يذهب عنك إلا بذهاب روحك.

قلت لها: لم يعد لروحي بقاء إلا على فراش الاحزان ولن اخدع بالقول فالقول قول مهما حلي.

قالت: اسمعي لتعيي وافهمي لتفرحي أن لي ابنا وحيدا يعيش في امريكا، مهندس ثري معروف بالذكاء والجاه يريد الزواج وقد قال لي اماه لكي الخيار في زواجي لقد منحتك الشورى فاختاري من تشائين وأنا راضي لا كلام لي من بعدي كلامك.

قلت لها: ما علاقة الامر بي؟

قالت: كل الامر مرتبط بك فلم أجد لابني خيرا منك.

رفعت يدي الى وجهي لأتلمس الاخاديد المحفورة بفعل الاهوال قبل الاعوام وابتسمت بغضب وقلت: هل تسخرين مني، أن اغلب النساء خير مني.

قالت: لا أنا ارى فيك خيرا كثيرا وطيبة متدفقة.

قلت لها: عفوك ولكني مرتبطة ببواب العمارة هذه.

قالت: دعك من البواب أن كنت تملك قرشا فثمنك قرشا وان كنت لا تملك فأنت بضاعة فاسدة مكانها القاذورات والعفن.

قلت لها: سيدتي قولك تفوح منه رائحة الاحتقار للغير والاساءة للغير فالمال لا يشتري الهناء والسعادة.

قالت وهي تضحك: وهل الفقر يشتريهم أن كان المال عاجزا على فعل الأمر يضحكني الناس بهذه الاقوال التي أن دلت فتدل على الفقر وقلة الحيلة امام الثراء والأثرياء.

تنهدت وقلت لها: ما رأيك أن نقفل على الامر أنني فقيرة عديمة الحيلة وأنت الثرية التي لا تخلو من الحيلة.

قالت: لا أنا مصرة ولن ادع لك القرار والاختيار فأنت بمثابة ابنة لي ، انت من فصل ملابسي منذ مدة وانا اريد أن افصل حياتك للمدة القادمة.

قلت: سيدتي ارجوك أنا مرتبطة...

قاطعتني: وهل يقارن الليل بالنهار والأرض بالسماء والبواب بالمهندس.

قلت لها: لا يهمني وتوقفي عن الامر والكلام فيه.

وضعت بطاقة عليها رقمها وقالت: فكري ولا تطيل فالفرصة لا تأتي إلا مرة واحدة في العمر.

تتوقف زين لبرهة لتمسح الدموع المنهمرة من عينيها وهي تقول ليت تلك الفرصة لم تأتيني ظاهرها كان فرصة وباطنها كان لعنة وبلاء.

حلى علي الليل ذلك اليوم فأردت النوم لكن نفسي ابت إلا أن تحدثني في الامر وتغيب النوم عني نهرتها وقلت لها أن في الامر شرا كثيرا مستترا وانه كما تدين تدان، وان فاعل الشر لن يلقى إلا الشر وزارع الشوك لن يحصد إلا الشوك.

اجابت نفسي: اتعجب من قولك ومدى صدقه فبعد أن غدر بك اخوتك لم يلقى الشر سواك اما اخوتك فهم في النعيم الكثير يتنعمون.

قلت لها: اريد النوم

قالت نفسي: إلا تتوقين لتغيير والعيش في احضان الثراء.

قلت لها: لست معتادة عليه ولا اريده.

قالت نفسي: إذا كما يقولون انت وجه الشقاء وستموتين في الشقاء ما ذنبي أن اسكن جسدك واربط بأغلال فكرك التافه تعبت من همك

وحزنك الذي احرقني حتى اصبحت كالتائهة في جسدك اتمنى الخروج منه اليوم قبل غد.

قلت لها: أن الله يريد منا الاصلاح لا الافساد.

ضحكت نفسي وقالت: اتريدين أن تخدعيني وتقنعيني بأنك حقا من الصالحين ومتى غدوت من الصالحين...اه ربما حين اخفيت المال الذي تركه والداك عن اخوتك واحتفظت به في البنك ولم تستعمليه إلا لشراء هذا المكان القذر اتعجب منك ومن سذاجتك لما لم تستعمل كل المال حتى يتمكن لك من شراء منزل فاخر ا انت خائفة من القيل والقال وتريدين أن تظهر بصفة الحمل الوديع وأنت في الحقيقة عكس ذلك ما نفع المال أن لم تتمتع به.

قلت لها: اردت بإخفائه الخير لإخوتي اردتهم أن يعتمدوا على أنفسهم لان لا مال خلفهم ولا جاه معهم والحرس على كسب العلم والشهادة هو السبيل الوحيد للخلاص من الفقر.

قالت نفسي: هل انت غبية أم ماذا؟ أتحاولين التلاعب بالكلمات معي لخداعي اعرفك واعرف غايتك لذا اصمتي.

اجبتها وقلت لها: ومتى خدعتك؟ أنت من خدعني دوما وجعلني أقع في اعماق الاخطاء والرذائل.

انت من اشار علي بالرفض فيما يخص بيع منزل العائلة... كان علي بيعه قبل أن يصل اخوتي الى حد الخداع للحصول على ما هو حقهم في الاصل.

الهام كان علي بيع المنزل لان اخوتي احتاجوا لحصتهم من المال لزواج... ما الغاية من رفضي لا افهم اعتقد أني عاندت على الامر

لأني انانية شريرة لا تحب الخير للغير... لقد فقدت اخوتي بسبب سوء تقديري وتدبيري... خسرت اخوتي اللعنة علي وعلى نفسي الامارة بالسوء.

أحدق فيها وهي تتلوى من الألم والأسى ولا اقول أي شيء.

إني احيانا ممن تخون الكلمات امام العبرات المنذرفات.

يقال دموع التمساح لا اعلم حقا أن كان التمساح ايضا يدمع ولكنه أن ادمع امامي لنت له مع أن في الامر ربما هلاكي.

تكمل وتقول: بعد تفكير دام يومين انتصر شر نفسي على خيرها...اني حقا روح ليلية لا تمرغ إلا في الخطء والرذيلة...

اتصلت بالمرأة وأطلعتها على قراري بالقبول باقتراحها...

اعد كل شيء لزواجي او ربما لهلاكي.

اتى يوم الزفاف دون أن يرافقه الاحساس بالفرح... لم افرح لم تدخل السعادة قلبي ولكن التعاسة ايضا لم تدخله...كان الامر سيان عندي لم اكن سعيدة ولا تعيسة كنت كالميت الذي فقد روحه واحاسيسه.

ذلك الرجل الذي غدى زوجي ايضا لم يكن سعيدا ولا تعيسا بل كان فارغا كليا من الاحاسيس احسب انه فقد احاسيسه بسبب المرض الذي حل عليه بسبب خطء طبي لعين وهو في الامر معذور عكسي انا.

دخلنا غرفتنا بعد انتهاء الحفل المقام على شرقنا كنت البس الثوب الابيض وهو الطقم الاسود ليتنا تبادلنا الالوان لكي يشير كل واحد منا على ما في نفسه فعليا من خلال الالوان فنفسي سوداء ليلية وكان

علي أن اتخذ من هذا اللون سيدا على الالوان الاخرى حتى يوم زفافي فهو الوحيد المعبر علي ولي...

لم افرح بالثوب لان اللون الابيض لم يعبر علي او ربما لان الطمع من جعلني اقبل الزواج برجل لا اعرفه ولا أحبه وفي هذا بؤس شديد.

كرهت نفسي لان الطمع اقوى مني وأقنعتني به نفسي.

جلست عل كرسي وجلس هو بدوره على بعد متر مني واخذ يتنقل من قناة الى اخرى على التلفاز.

قلت له: لقد اخطأت في زواجي بك.

نظر الي باحتقار وقال: استغربت من قبولك لزواج برجل مصاب بالايدز دون الرجوع اليه في الامر لفهم ما وقع وكيف وقع؟ على كل الامر غير مهم فمعظم الناس في هذه الحياة لا يحركهم سوى الطمع وحب المال.

اعتراني غضب شديد من قوله وطريقة نظرته الي وقلت له دون الرجوع الى فكري: وماذا سيكون السبب غير فساد خلقك وانحطاط فعلك.

قال: لا هذا ولا ذاك هو خطأ طبي احسب أن أمي اخبرتك بمرضي دون التطرق الى المسببات لأنك لم تهتم بمعرفتها ولم تحاول الاستفسار عنها اخبرتني امي أن جل اسئلتك كانت منصبة فقط عن الكم الذي املكه من المال.

قلت له: لولا المال لما قبلت بشخص مثلك والمال هو الدافع الوحيد لزواجي.

وقف وهو غاضب وقال: امي اخبرتني أنك طيبة ولكن ما اراه يكذب الامر.

قلت له: الحياة من جعلتني هكذا.

قال: الحياة لا تجعل من الطيب شريرا وان نجحت على فعل ذلك مع شخص ما فلان ذلك الشخص لم يكن فعليا طيبا بل كان يعتقد انه طيب.

صرخت في وجهه بعدما أدركت انه أبصر جيدا في اعماقي وأدرك حقيقة ما هو موجود فيها: أنا حقا اتقزز منك ومن قولك.

قال بحزن: اردت ارضاء امي بزواجي... ولكني ايضا اردت مساعدتك ماديا لان امي اخبرتني أنك امرأة فقيرة طيبة تعيش لوحدها وإذا انت...

قلت له: أنتصدق علي؟

يصمت ولا يجيب.

اقول له: لا اريد صدقتك.

يقول: حسنا.

يبتعد قدر خطوتين من مكانه يأخذ محموله ويتصل بأحدهم فأقول على عجل: بمن انت تتصل؟

يقول: لا تريدين مالي لهذا سأهبه لجمعية خيرية قبل رحيلي... ولأنك حقا لا تستحقينه.

اسحب منه الهاتف بعنف وادفعه بقوة شديدة واخذ مقصا موضوعا على الطاولة في الاصل لفتح الهدايا... اوجهه اليه واهدده بالقتل أن

هو تجرأ واتصل بالجمعية لمنحهم المال الذي تزوجته من أجله وضحيت بالكثير في سبيله.

يضحك بسخرية: ألهذا الحد انت عمياء بحب المال أتهدرين دمي من أجل المال؟

يقترب مني ويقول: اهدئي فانا سأمنح امي نصفا من ثروتي وما تبقى منه سيكون لك فيه حصة ولكن للجمعية ايضا حصة لن اتراجع عن الامر...

يقترب مني لأخذ المقص فارفض يحاول اخذه مني بقوة فاغضب واغرزه فيه ثلاث مرات متتالية بوعي او دون وعي لا اعلم حقا.

تدخل الام من بعد ذلك مذعورة لسماعها صوت ولدها الوحيد ينادي عليها ويطلب منها السماح فيما تبقى له من انفاس.

يغمى عليها اخذ هاتفها واتصل منه بالشرطة والاسعاف.

اضرب نفسي حتى أفقد وعيي.

افيق على ايدي رجال الحماية المدنية الذين سرعان ما أسرعوا بأخذ جسد من اهدرت دمه طمعا في انقاذه.

اسمع بان الشرطة على وصول فأحاول الهروب لجعل اقاربهم يعنفونني فأغدو ضحية وأنا المجرمة الشريرة.

هذه حقيقة ما وقع ولا يدركها غيري من البشر.

اراها تبكي فلا الين ولا أشفق عليها حتى أني استغرب من العبرات المتساقطة من عيون رأت ما رأت ولم تجحظ منه ومن شدته.

بعد ما انهت سردها تخرج من المكتب وهي دوما تبكي وتتوسل نشري لحقيقتها ولكن بعد موتها.

لا افهم الغاية من الحقيقة أن لم يكن الهدف منها عقابها ومحاكمتها؟

أرواح ليلية تتستر من الناس ولا تتستر من الخالق الذي يراها في كل مكان وزمان.

أرواح ليلية تجعل الفساد يعم دون أن تهتم ولا تبكي الى حين قرب الأجل والممات.

أرواح ليلية لا تهتم بمصاب الغير وتبكي دما على مصابها.

أرواح ليلية جعلت من الليل حجابا لشرها.

اخذ قلما واعزم على كتب المقال دون انتظار وأخط العنوان بلون اسود قاتم... **أرواح ليلية.**

E-KUTUB
Publisher of publishers
No 1 in the Arab world
Registered with Companies House in England
under Number: 07513024
Email: ekutub.info@gmail.com
Website: www.e-kutub.com
Germany Office
/Linden Strasse 22, Bruchweiler 55758
Rhineland-Palatinate
UK Registered Office:
28 Lings Coppice,
London, SE21 8SY
Tel: (0044)(0)2081334132

Night Spirits
BY:
Souad Bellouni

تركع على الارض من الحزن وألم ما فعلته وأنكرته ذات يوم وتقول بصوت متقطع من البكاء: بحق رب الكون بحق رب الكعبة أن تساعديني، ليس من اجلي بل من أجل ذلك الرجل الميت من أجل تلك المرأة التي طردت من قاعة المحاكمة ولم ينصرها أحد من البشر لكن الله نصرها وجعل السرطان يفتك بي لاعترف بالحق. لقد نصرها الله بعد حين.

لقد نصرها الله حتى بعد موتها حقا أن الله يمهل ولا يهمل استحق المرض والموت أنا روح ليلية عمياء لا ترى فعل الشر امر لا يجوز... السرطان من جعلني افيق وأبصر.

تبكي بشده حتى احس بقلبي ينفطر ويذوب.

ارفعها من كتفها وأساعدها على الجلوس واخذ ملفا من الدرج وقلما من حقيبتي وأقول لها: بإمكانك البدء.

9 781780 585635

آلاف الكتب، لكل وقت، ومن أي مكان